بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع والأربعون

يقول المؤلف – رحمه الله تعالى –:

باب ما جاء في قول الله تعالى:

(ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي)

عن أبي هريرة أنه سمع – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول:

(إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك قال: لون حسن وجلد حسن يذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه فذهب عنه قذرة، وأعطى لون حسن وجلد حسن، قال: فأي المال أحب إليك قال الإبل أو البقر شك إسحاق فأعطى ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك، قال: شعر حسن ويذهب عنى الذي قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعر حسن، فقال: أي المال أحب إليك قال البقر أو الإبل فأعطى بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك أن يرد الله إلى بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك قال الغنم فأعطى شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله – عز وجل – المال، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فسيرك الله إلى ما كنت، قال: ثم انه أتى الأقرع في صورته فقال له ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال إن كنت كاذبا فسيرك الله إلى ما كنت، قال: ثم إنه أتى الأعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلى بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فو الله لا أجهدك اليوم بشئ أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك) أخرجاه

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

هذا الحديث الطويل المتفق عليه هذا الحديث قصة أورده المصنف – رحمه الله – تعالى تحت:

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

◈ **باب (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي)**

وقد تقدم بيان هذه الآية وكلام المفسرين حولها.

◈ **وأن هذا الباب مناسب لكتاب التوحيد:**

لما في كفران النعم من منافاة التوحيد، وشكر نعمة المنعم،

وهذا الحديث البليغ المؤثر فيه موعظة، وفيه فوائد جمة فلنتناوله شيئا فشيئا. قال:

"عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول": وهذا يدلنا على أن أبا هريرة قد تلقاه مباشرة من النبي ﷺ لأنه صرح بالسماع،

وتعلمون أن أبا هريرة – رضي الله عنه – إنما هاجر متى؟ عام خيبر ومع ذلك فهو من أكثر أصحاب النبي ﷺ رواية وربما بل قد وقع أن روى أحاديث كثيرة في حوادث جرت قبل هجرته وذلك أنه كان يأخذ عن كبار الصحابة، ويتلقى منهم، ويتحفظ الحديث فكان خزانة لحديث النبي ﷺ.

أما هذا الحديث فقد صرح به بالسماع، وعلى كل حال فلا يضر أن يسقط الصحابي ذكر صحابي بينه وبين النبي ﷺ فمرسل الصحابي له حكم الاتصال

يقول (إن ثلاثة من بني إسرائيل): **(بنو إسرائيل)**: يطلق على اليهود والنصارى، والأصل أن **إسرائيل**: هو يعقوب – عليه السلام –، فتنسب إليه هاتان الأمتان اليهود والنصارى،

والتحديث عن بني إسرائيل: جائز وربما قيل مشروع لأن النبي ﷺ قد قال: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وما يسميه العلماء بالإسرائيليات العلماء يسمون طائفة من الأخبار، والأحاديث إسرائيليات المراد بها ما يؤثر عن كتب بني إسرائيل.

◈ **فما الموقف منها؟**

بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيره من العلماء أن الموقف منها لا يخلو من ثلاثة أحوال

١) إما أن يكون ما في هذه الكتب **موافقا لما في كتاب الله لما في القرآن العظيم أو في سنة النبي ﷺ** ففي هذا الحال نقبل بها ونصدق لأن كتابنا يشهد لها بالصدق،

ما مثال ذلك؟ مثاله ما ورد في العهد القديم في ما يسمونه عندهم بسفر التكوين من ذكر خلق آدم، والطوفان، وما أشبه ذلك فهذه أمور قد شهد لها كتابنا بالصحة فلذلك نقبلها ونصدقها لأن كتابنا شهد لها بالصحة فنقبلها

٢) النوع الثاني: **ما كان مخالفا لما جاء في كتابنا**؛ وهذا عندهم كثير مما يتضمن إساءة إلى جناب الرب – سبحانه وبحمده – أو إساءة إلى أنبيائه الكرام.

كزعمهم – قبحهم الله – أن لوطا – عليه السلام – شرب الخمر وزنى بابنتيه، هكذا زعموا وهذا موجود في كتبهم التي بين أيديهم وغير ذلك من الأمثلة فهذه نعلم كذبها وأنها مما أدخلته يد التحريف ونسبته إلى كتب الله فموقفنا منها الرد والرفض، وتبرئة أنبياء الله، وتنزيه جناب الله – عز وجل – عما تقولوا.

٣) – القسم الثالث: **ما ليس في كتابنا ما يصدقه ولا يكذبه** وهذا كثير جدا، فموقفنا من هذا القسم عدم التصديق وعدم التكذيب لقول النبي ﷺ: (إذا حدثكم بنوا إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فعسى أن تصدقوهم في حديث كذبوكم فيه) فنعرض ما قالوه على كتابنا وعلى سنة نبينا ﷺ.

والمقصود إذا عرض على أهل العلم والدراية فراو أنه لا يوافق ولا يخالف فلا بأس بروايته لعموم قول النبي ﷺ: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) ففيه سعه، ومع ذلك فان الاستغناء بما في كتابنا تحصل به الكفاية ولله الحمد ولا محوج للاشتغال بالإسرائيليات

إذا يقول النبي ﷺ:

(إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى) إنما نصبت هذه الثلاثة لأنها بدل عن قوله ثلاثة اسم إن أبرص وأقرع وأعمى وهذه ثلاثة آفات معلومة فإن:

الأبرص: من كان في جلده شيء من البياض فهو مرض جلدي معروف يتقذره الناس،

وأما الأقرع: فهو الذي سقط شعر رأسه وغالبا ما يصيب الصبيان وربما أصاب الكبار فيكون في الرأس قروح ينشأ عنها تساقط الشعر وهو أيضا مما يستقذره الناس،

وأما الأعمى: فهو من سلب حاسة البصر ولا شك أن البصر نعمة عظيمة فقد يسلبها الإنسان

قال: (فأراد الله أن يبتليهم): (يبتليهم) أي يختبرهم

ولا ريب – أيها الأخوة الكرام – أن الله – سبحانه وتعالى – يبتلي جميع عباده {ونبلوكم بالشر والخير فتنه } فلذلك لا يظن أحد منا أنه بمنجاة من الابتلاء لكن الله – سبحانه وتعالى – يبتلي، ويعافي، ويلطف ببعض عباده – نسأل الله أن يلطف بنا – وإلا فقد قال الله – عز وجل –: {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}

ولا ينبغي للإنسان أن يسأل الله البلاء بل ينبغي له أن يسأل الله العافية؛ كما قال النبي ﷺ مرة لأصحابه وقد حالت الشمس بينهم وبين عدوهم أن يقتتلوا، فقالوا: وددنا يا رسول الله ﷺ لو أن يعني لقينا أعدائنا يعني وحاربناهم، فقال النبي ﷺ: (لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية وإذا ابتليتم فاصبروا لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية وإذا ابتليتم فاصبروا) ، فأنت يا طالب العلم ربما مثلا قرأت في كتب المناقب والفضائل في سير بعض العلماء الذين جرى لهم نوع ابتلاء، فطاقت نفسك إلى أن يجري لك كما جرى لهم، فاعلم أن هذه النزعة وان كان باعثها الإيمان

ليست صوابا بل ينبغي لك أن تسأل الله العافية فانك لا تعلم ما يكون حالك إذا أصابك البلاء فلربما فتنت فافتتنت فسل الله العافية فان حل بك بلاء فاعتصم بالله – عز وجل – واصبر

قال:(فبعث الله إليهم ملكا): والملك خلق من خلق الله خلقهم الله تعالى من نور لكن الله – سبحانه وتعالى – أعطاهم القدرة على التشكل فهم ربما تشكلوا بهيئة البشر كالملك الذي أتى مريم فتمثل لها بشرا سويا أو الملائكة الكرام الذين أتوا إبراهيم ولوط على هيئة شبان صباح الوجوه أو كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ على صورة دحية الكلبي فالمهم هذا الملك أتي إليهم على صورة آدمي إذا لو أتى على صورته التي خلقه الله عليها لكان لهم كلام آخر واستنكروه.

فأتى الأبرص: ابتدأ بأولهم، **فقال:" أي شيء أحب"** ماذا تتمنى ما الذي تطوق إليه نفسك، فقال على البديهة: **"لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به"** هكذا دائما الإنسان يتبادر إلى ذهنه الشيء الذي يشغل باله دوما فلما كان يرى نفسه أنه على هذه الصفة سأل هذه المسألة فما كان من الملك إلا أن: **مسحه فذهب عنه قذره فأعطى لونا حسن وجلدا حسنا:** يعني نال ما تمنى مسحه الملك فذهب عنه هذا الأذى وصار لونه حسنا، وجلده حسنا، قال: **"فأي المال أحب إليك قال الإبل أو البقر والشك من إسحاق:** وهو إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحه أحد رواة الحديث وليس الشك من النبي ﷺ قطعا ، **فأعطى ناقة عشراء:** وهذا يدل على أنه تمنى ماذا الإبل وليس البقر أعطى ناقة عشراء، والناقة العشراء هي التي بلغت شهرها العاشر وصارت وشيكة الولادة على وشك الولادة وهذا أثمن ما يكون من النوق أن تكون على وشك الولادة فتمنى ذلك لكي ينتفع من نتاجها، وقال يعنى فوق ذلك ، **"بارك الله لك فيها":** في تلكم الناقة، دعي له بالبركة ثم انصرف انتهى المشهد الأول طيب قال: **فأتى الأقرع فقال: "أي شيء أحب إليك"، قال: "شعر حسن ويذهب عنى الذي قد قذرني الناس به" فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا:** مسح على رأسه وبإذن الله – تعالى – نما شعر حسن، ونال ما تمنى، ثم ثنى فقال: **"أي المال أحب إليك" قال: "البقر أو الإبل":** والشك من الراوي ، **فأعطى بقرة حامل، قال: "بارك الله لك فيها":** وهذا يدلنا على أن من أعطى أحدا شيئا فينبغي أن يدعوا له بالبركة لأنه قد يؤتى الإنسان الشيء ولا يبارك له فيه وربما عاد وبالا عليه.

فدوما ينبغي للمؤمن أن يسأل الله تعالى البركة فيما آتاه كثيرا من الناس يملك الدخول العالية والرواتب المرتفعة لكن ماله يضمحل والعياذ بالله بسبب نزع البركة، ومن الناس من يؤتى مالا قليلا لكن يبارك له فيه حتى يبقى معه فاضلا عن حاجته، فلهذا ينبغي أن يتنبه المؤمن للدعاء بالبركة فان الله – سبحانه وتعالى – هو الذي يبارك في الأشياء

قال فأتى الأعمى فقال: "أي شيء أحب إليك" قال: "أن يرد الله إلى بصري فأبصر به الناس": ألا ترون أن هذا الأعمى من مبدأ أمره حاضر القلب فان من سبقه لم يشر إلى أن المسألة من الله – عز وجل – :

- فهذا الأبرص الأول منهم قال: "ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به" ما قال ويذهب الله عنى
- وكذا الأقرع قال ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به ولم يقل ويذهب الله،
- أما هذا الأعمى فقد كان من أول أمره يدل على صلاح، فقال: "أن يرد الله إلى بصري فأبصر به الناس" فنسب الأمر إلى الله تعالى

فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: "فأي المال أحب إليك" قال: "الغنم فأعطى شاة والدا": والدا يعني المقصود أنها قد قاربت الولادة، قال:

"فأُنتج هذان": وهذا هو الأفصح في هذه اللفظة أن تكون بصيغة المبني للمجهول فأنتج هذان يعني حصل لهما نتاج من إبلهما و بقرهما واللفظ يستخدم في الإبل والبقر

"وولد هذا": أي صاحب الغنم.

فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم: والقسمة واضحة وان كان الإشارة واحدة لكن معلوم أن صاحب الإبل نال واديا من الإبل، وصاحب البقر نال واديا من البقر، وصاحب الغنم نال واديا من الغنم وهذا ببركة دعاء الملك لهما فحصل لكل منهم قطيع كبير انتهى الفصل الأول من القضية هل انتهى الابتلاء لا بعد هذا أوله، قال:

ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته: فقال أتى الأبرص في صورته وهيئته قيل أن المراد أنه أتى إلى الأبرص بصورة إنسان أبرص ليس المقصود في صورته وهيئته يعني في صورته الملكية وهيئته الملكية كلا نعم تحتمل أن تكون في صورته وهيئته يعني أنه أتاه على الصفة التي أتاه بها أول مرة لكن الأقرب – والله أعلم – أنه أتاه في صورته التي كان هو عليها يعني كأنما أتاه في صورة أبرص لكي يثبت الابتلاء، فقال:

"رجل مسكين": يعني يحكي حاله

"قد انقطعت بي الحبال": المقصود قد انقطعت بي الحبال أي الأسباب فان السبب هو الحبل كما قال الله – عز وجل –: (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء) يعني يربط حبل في السقف انقطعت بي الحبال أي الأسباب

قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرا أتبلغ به في سفري: يعني جعله أمام مواجهة يريد أن يجترأ شيئا من هذا الوادي فقط بعير واحد فانظروا للابتلاء –نسأل الله أن يربط على قلوبنا–

فقال: الحقوق كثيرة: هكذا يتعلل الطماع حينما يطلب منه شيء يتعلل بكثرة الالتزامات والحقوق وغير ذلك والأمر ليس كذلك وهذا يقع لكثير من فقراء القلوب أغنياء الأرصدة تجد عنده المال الطائل لكنه فقير القلب -سبحان الله- يعني يقتر على نفسه، ويقتر على أهله، ولا ينتفع بهذا المال الذي خوله الله به فهذا في الحقيقة وان بلغ رصيده المليارات فهو في الواقع فقير لأنه لم ينتفع بهذا الذي خوله الله ومكنه منه فلهذا قال الحقوق كثيرة يعني اعتذر وامتنع أن يعطيه بعيرا واحدا،

فقال له: "كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله - عز وجل - المال": أراد أن يذكره ويعطيه فرصة أخيرة لكي يراجع نفسه ويتذكر نعمة الله عليه فلعله قد غفل لكن الرجل - بالله - أبى،

قال: "إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر": يعنى أن هذا المال تخدر إلي من أبى عن جدي عن جده هذا مال حزته يعني حيازة قدرية قهرية ولم يثني بالنعمة على مسديها وهو الله - عز وجل - -نسأل الله العافية- فماذا قال له؟

فقال: "إن كنت كاذبا فسيرك الله إلى ما كنت: يعني أعادك إلى حالك الأولى من الفقر والآفة"،

قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له: "مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا" فقال: "إن كنت كاذبا فسيرك الله إلى ما كنت"، قال وأتى الأعمى في صورته فقال: "رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري"

فقال: "قد كنت أعمى فرد الله إلى بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فو الله لا أجهدك شيء أخذته لله" لا أجهدك يعنى لا أشك عليك ولا أعنف عليك ولا ألومك على شيء أخذته وذلك شكرا لله - عز وجل - واعتراف منه بالنعمة،

فقال: "أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك" . **أخرجاه:** أي البخاري ومسلم.

فهذه القصة البليغة - أيها الأخوة - ما أحسن أن تتلى في المجالس والمجامع ليعتبر الناس بها ودروسها، ويعلم كل أحد أن النعمة بيد الله - عز وجل -، وأنه هو المعطي والمانع، وأنه يبلوا عباده بالسراء والضراء فلا ينساق أحد خلف الدنيا وينسى المنعم - سبحانه وبحمده -

◈ **مناسبة الحديث للباب:-**

فكان هذا الحديث مناسبا جدا للباب الذي ترجم له في الآية:

{ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي } فصار مناسبا جدا للترجمة.

◈ **والواقع أن فوائده كتعدده فنستفيد منها:-**

- وجوب شكر النعمة في كل شيء؛ في المال، والصحة والتمكين، والجاه فكل نعمة أنعمها الله عليك فقابلها بالشكران - كذلك أيضا يقابل هذا التحذير من كفر النعم؛ وأنها سبب لسلبها

- وفيه أيضا ما يدل على جواز التحديث عن بني إسرائيل فيما صح معناه ولم يكن مخالفا لما في الكتاب والسنة

- وفيه أيضا حكمة الله تعالى في الابتلاء

- وفيها أيضا من معاني التوحيد الإتيان بـ (ثُم) كما في قوله "فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك" فان ثم يحصل بها تحقيق التوحيد والسلامة من الشرك بالإضافة إلى ما تقدم أيضا من الفوائد التي جرى ذكرها في أثناء شرح هذا الحديث

◈ **فلنستمع الآن إلى مسائل الباب**

[قراءة المتن]: فيه مسائل

- الأولى: تفسير الآية

[الشرح]: نعم وقد نقل المصنف عن جمع من المفسرين تفسيرها

[قراءة المتن]

- الثانية: ما معنى قول الله – عز وجل –: { ليقولن هذا لي }

[الشرح]: نعم وقد تقدم معنا أن قوله: (هذا لي) يعني بجدي وحذقي وما أشبه ذلك

[قراءة المتن]

الثانية: ما معنى قوله (إنما أوتيته على علم)

الثالثة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة

[الشرح]: نعم وقد تقدم ذكر هذه العبر أو بعضها.

باب قول الله تعالى: { فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون}

قال ابن حزم اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب

وعن ابن عباس في الآية قال: "لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه فلأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله {جعلا له شركاء فيما آتاهما } رواه ابن أبي حاتم

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته لم يكن في عبادته" وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: { لان آتيتنا صالحا } قالا أشفقا ألا يكون إنسانا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما

[الشرح]

قال المصنف – رحمه الله – :-

◈ **باب قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون)**

هذه الترجمة ذكرها المصنف وذكر فيها هذا الحديث الذي سوف نتكلم عن ثبوته

◈ **لكن مناسبة هذه الترجمة لكتاب التوحيد:-**

أن تسمية الأولاد بأسماء معبدة لغير الله – عز وجل – من الشرك مناسبة هذه الترجمة أو هذا الباب لكتاب التوحيد أن تسمية الأولاد بأسماء معبده لغير الله – عز وجل – من الشرك ومن كفر النعمة

(فلما آتاهما): من المؤتي الله – عز وجل –

(صالحا): يعني خلقا سويا

(فلما آتاهما صالحا): أي ولدا سويا، والولد يطلق على الذكر والأنثى.

والصلاح المراد به هنا ليس صلاح الدين المراد به صلاح الخلقة أي أنه خلق سوى ليس خداجا (جعلا له شركاء فيما آتاهما) وذلك بالشرك في الطاعة، أو الشرك في نسبة النعمة إلى غير الله – عز وجل –

وكيف يمكن أن يكون أو أن يقع من الأبوين شرك بسبب هذه النعمة المسداة وهى نعمة الولد لذلك صورا متعددة فمن هذه الصور:

١) أن يعتقد أن سوى الله أتاهما إياه أن يعتقد أن سوى الله أتاهما هذا الولد فهذا –والعياذ بالله– شرك أكبر مخرج عن الملة لو اعتقد الأبوان بأن الذي من عليهما بالحمل والوضع والإنجاب غير الله فهذا شرك أكبر

٢) –الصورة الثانية: أن يضيف سلامة المولود إلى الأطباء وهذا في الحقيقة يقع كثيرا وهو شرك أصغر تجد بعض الناس، يقول الدكتور فلان الطبيبة فلانة كان لها دور كبير مثلا التصرف والى آخرة، ويأخذ يفيض في حذق الطبيب أو الطبيبة، ويغيب عن باله ذكر الله – عز وجل – فهذا لون أيضا من الشرك وان كان لا يبلغ الشرك الأكبر

٣) – الصورة الثالثة للشرك: أن يقدم محبته على محبة الله؛ وهذا يقع لكثير من الوالدين وهو أن يحجم عن طاعة الله – عز وجل – وفعل مراضيه خوفا وظنا بأولادهما مثل ما وقع لأحد الصحابة رضوان الله عليه، وفيه أنزل الله تعالى قوله: { يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم } فقد كان يتجهز للخروج مع النبي ﷺ فاجتمع عليه نسائه وأولاده وأخذوا يبكون فبكى وقعد وترك الجهاد فهذا مناف للإيمان الواجب لأنه ترك لواجب

٤) – الصورة الرابعة: أن يسميه باسم معبد لغير الله فهذا أيضا يلتحق بالشرك ويكون بحسب ما قام في قلبه فإذا كان يقصد العبودية المعروفة فهو لاشك شرك أكبر، وان كان يقصد مجرد اسما أعجبه فهذا محرم ولا ريب

طيب نرجع إلى كلام المصنف

قال "ابن حزم": وابن حزم هو كما يقال عنه هو أبو محمد – رحمه الله – يوصف بأنه منجنيق العلماء وذلك لقوة عارضته وشدة عبارته عالم أندلسي، واسمه أبو محمد على ابن أحمد ابن حزم وهو قرطبي وهو على مذهب الظاهرية فشيخه داوود ابن على مؤسس مذهب الظاهرية.

وأبو محمد – رحمه الله – كانت وفاته سنة أربعمائة وست وخمسون للهجرة صاحب علم ولا ريب وصاحب عقل ولكن مع ذلك فانه وجماعته من الظاهرية أوصدوا باب القياس فلا يعترفون بقياس وهذا في الحقيقة من إغراقهم في الأخذ بالظاهر لذلك سموا ظاهرية، وتميز أبو محمد بشدته بشدة عبارته ونيله من مخالفيه فهو إذا توجه إلى أحد من مخالفيه يعني شدد عليهم في العبارة ولم يبقي له باقية وإذا توجه إلى قول من الأقوال التي يراها غير صحيحة سفهها حتى انه مر على في بعض كلامه أنه ذكر قولا تهجنه وقال هذا قولا لا يقول به عجائز البربر ولا شيوخ السودان هكذا،

وحدثنا شيخنا – رحمه الله – أنه رأى في بعض كتاباته أنه نقل قولا فقال أو كتب تُف تُف يصف ذلك القول

وابن القيم – رحمه الله – يعظم من شأن أبى محمد وينقل عنه كثيرا وذلك لأنه صاحب اعتصام يعني بالدليل إلا أنه بالغ بالأخذ بالظاهر حتى أبطل القياس وهذا خطأ بلا ريب كما أنه كان شديدا على أصحاب الرأي الذين يتوسعون في الآراء

أيا كان له كتاب يسمى الإجماع حكى فيه عدة مسائل من مسائل الإجماع ومنها أنه ذكر هذه المسألة فقال اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك مثل قولهم عبد الشمس عبد الدار وغير ذلك فقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن تعبد الأسماء لغير الله ثم استثنى قال حاشا عبد المطلب وذلك لأن عبد المطلب جد النبي ﷺ تعبيده للمطلب إنما هو تعبيد خدمه فقد كان أسود اللون وكان يمشي مع المطلب ويجاريه وقد غاب عن مكة مدة فلما جاء إلى أهل مكة ظن الناس أو ظن أهل مكة أنه غلام له رقيق فكانوا يقولون عبد المطلب وقد أقر النبي ﷺ هذا في قوله "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" فاستثنى هذا طيب إذا لا يجوز تعبيد الأسماء لغير الله – عز وجل – بل يجب أن تعبد الأسماء لله تعالى

◈ **ثم ذكر هذا الحديث أو هذا الأثر قال وعن ابن عباس:**

في الآية: أي الآية التي ترجم المصنف بها لهذا الباب

قال: لما تغشاها آدم قال الله في الآية {فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت}: يعني ثقل بها الحمل وبلغت حال الوضع:

{دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون}: الأثر الذي بين أيدينا يفهم منه أن المعنى بالآيتين آدم وزوجه هكذا قال ابن عباس أو هكذا يروى عن ابن عباس:

"لما تغشاها آدم حملت": أي حواء

فأتاهما إبليس فقال: "إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة": ما هذه المقدمة؟! يعني هذه مقدمة إرهابية يعني كأنما يقول لهما أنا الذي بلغ بي الحال أن أخرجتكما من الجنة كيدي متين وشديد انتبهوا لما أطلب منكم

لتطيعانني أو لأجعلن له: أي لهذا الحمل الذي في بطنك

قرني أيل: والمقصود بالأيل هو الذكر من الوعول، الوعل حيوان يشبه الغزال يعيش في الجبال يقال أيل فذكر الوعول يقال له أيل فهو يخوفهما ويقول إذا لم تطيعانني لأجعلن له قرني أيل ماذا قال:

فيخرج من بطنك: يخاطب حواء

فيشقه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمياه عبد الحارث: إذا هذا مطلبه أن يسمى هذا الحمل عبد الحارث والحارث اسم للشيطان فأراد أن يعبد إليه لا يعبد لله رب العالمين.

فأبيا أن يطيعاه: لإيمانهما

فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما: فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت

فأتاهما فذكر لهما: يعني ذكر لهما كما ذكر لهما في المرتين الماضيتين

فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله (جعلا له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم:

هذا الحديث بهذا السياق وبرواية ابن أبى حاتم ضعيفة حديث ضعيف لا تقوم به حجة،

وممن أخرجه أيضا سعيد ابن منصور وكذلك أخرجه ابن جرير وهو أيضا من طريقه ضعيف، ولهذا قال العماد ابن كثير – رحمه الله – وكأن أصله – والله أعلم – مأخوذ من أهل الكتاب

رأى ابن كثير – رحمه الله – أن هذا حتى وان صحت نسبته إلى ابن عباس يكون مما أخذه ابن عباس من أهل الكتاب فاستنكره العلماء المحققون فأنكر سندا وأنكر متنا، ومن العلماء أيضا من صرفه عن الأبوين فقد قال الحسن البصري – رحمه الله – كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم رواه عنه ابن جرير وهذا يستقيم أي أن نحمل كلام الحسن على الآية

لكن حديث ابن عباس صريح بأنه أتى ماذا (لما تغشاها آدم) فقد صرح أن المعنى بذلك هو آدم، وقال ابن كثير – رحمه الله – بعد قول الحسن كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم قال أما نحن على مذهب الحسن البصري وأن المراد المشركون من ذريته، إذا معشر الأخوة كيف نفهم الآية نقول إن هذه الآية ليست في حق الأبوين، وإنما ذكر الله تعالى حالا يقع فيه بنو آدم وهو أن الله – سبحانه وتعالى – ينعم عليهما ينعم على الزوجين بالذرية كما وصف:

{ فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به }: وهذا ما يكون في أشهر الحمل الأولى

{ فلما أثقلت}: يعني حان زمن الولادة حينئذ يعني يشتد الشوق إلى سلامة المولود كما أن الفلاح متى يشتد شوقه إلى سلامة زرعه إذا قارب الحصاد يخشى أن تصيبه جائحة السماوية لأنه جعل يرقبه أشهر ينتظر فيخشى أن تصيبه آفة السماوية تذهب به أو يأتي إليه مثلا ماء جار يذهب به (فلما أثقلت

دعوا الله ربهما لان آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين): يعني بذلا الوعود والأقوال أن يشكرا الله إن أتاهما صالحا سويا يخشيا أن يخرج ميتا أو يخرج خداجا أو به آفة أو غير ذلك طيب (فلما آتاهما صالحا

جعلا له شركاء فيما آتاهما): وهذا كما أسلفت له صور كثيرة من صوره أن يعبداه لغير الله ومن صوره أن ينسبا الفضل للسبب وينسيا المسبب كأن يقول والله نصحنا فلان أو فلانة بكذا وكذا أو تمت الولادة على يد هذا الاستشاري وينسيا المنعم الحقيقي أو أنهما لا يشكرا الله – عز وجل – بالقول ولا بالفعل ولا بالقلب

وقد مر بنا أن الشكر يكون بهذه الثلاثة:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فربما وقع كفران النعمة بالتقصير في حق الله إما أن لا يلهجا بألسنتهما بشكر النعمة أو لا يقوم في قلبيهما امتنان لله – عز وجل – أو يضيع حقوق الله فتجد أنهما قبل الولادة ربما كانا يقومان الليل ويصومان النهار ويسألان الله تمام الحال فلما جرى أو حصل لهما مرادهما تركا ذلك وفرطا في الوجبات كل هذا يعني على ضوئه تفهم الآية

ولا محوج لهذه القصة الخيالية من أن الشيطان تهددهما بأن يجعل في بطنها قرني أيل فيكون له قرنان فيشق بطنها

وقد استنكر شيخنا – رحمه الله – هذه القصة من وجوه متعددة أتلوها عليكم باختصار

يقول – رحمه الله – :-

هذه القصة باطلة من وجوه:-

١) أولا: ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ص؛ حتى حديث ابن عباس لم يرفعه إلى النبي ﷺ قال وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة أنها رواية خرافة مكذوبة موضوعه

٢) – والوجه الثاني: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه فان قلنا ماتا عليه كان ذلك من أعظم من قول بعض الزنادقة أي أن هذه القصة لو جرت فعلا في حق آدم وحواء فهذا شرك ولا يخلو الأمر:

إما أن يكونا قد تابا منه،

وإما أن يكونا قد ماتا عليه والقول بأنهما ماتا عليه والعياذ بالله من قول الزنادقة الذين قالوا فيهما يعني قولا سيئا فمن جوز موت أحدا من الأنبياء أعدموا نبي فمن جوز موت أحدا من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وان كانا تابا من الشرك فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطئهما ولا يذكر توبتهما منه فهذا ممتنع – ونتم ذكر بقية الأوجه بعد الآذان إن شاء الله –

ذكر هذه الأوجه وان طالت في نقد هذه الرواية ينشئ لدى طالب العلم دربه يتمكن بها من نقد الروايات الضعيفة نقدا متنيا لأن الأحاديث الضعيفة والموضوعة يكون فيها علة وآفة زائدة عن مجرد ضعف السند لأن ما كان من عند الله فهو معصوم، ولهذا قال الله – عز وجل –:{ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا }، وقال عن نبيه (وما ينطق عن الهوى)،

أما المكذوب والموضوع فانك تجد فيه من النكارة ما تعلم أنه ليس من عند النبي ﷺ ونجد كثيرا من المحدثين النقاد إذا مر به حديث يعني يستنكره يقول أثار الوضع عليه بادية ولكن هذا لا يحصل لكل أحد فلا ينبغي لطالب العلم المبتدئ أن يتعجل بالحكم على حديث ما بأن أثار الوضع عليه بادي لكونه يقرع سمعه لأول مره أو لأنه استنكر سماعه أو لم يفهم المراد هذا أمر لا يقوله إلا المتمكنون، فنعود إلى نقد هذه الرواية فكان أول نقد لها أنها ليس فيها خبر صحيح عن النبي ﷺ ومثل هذه الأمور لا يمكن أن نتلقاها إلا عن طريق الوحي فلهذا أكذبها المحققون من العلماء ونقاد الحديث

– الثانية: – ما كنا نتحدث فيها قبل الأذان – أنه لو كانت هذه القصة ثابتة عن آدم وحواء فلا يخلو الأمر إما أن يكونا ماتا على ذلك فيكونا ماتا على الشرك وحاشاهما أو يكونا تابا منه فالأول ممتنع حاشا نبي من أنبياء الله أن يموت على الشرك ولو كان وقع منهما ثم تابا منه لأثبت الله تعالى توبتهم كما اثبت توبتهما حينما تابا من الأكل من الشجرة لم يكن الله – عز وجل – ليذكر السوءة ولا يذكر الحسنة

٣) – الوجه الثالث: أن يقال إن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء ربما وقع منهم ذنب نعم لكنهم لا يقعون في الشرك لا يمكن أن تجد نبيا وقع منه شرك

٤) – الوجه الرابع: أنه قد ثبت في حديث الشفاعة الطويل أن الخلائق تأتي آدم يوم القيامة ليشفع لهم عند ربهم فيما يعتذر بالأكل من الشجرة أليس كذلك! فلو كانت هذه القصة صحيحة لكان أولى أن يعتذر بها لأنها أشد لتعلقها بأصل الإيمان فهذا يدل على عدم وجودها بالكلية

٥) – أيضا من الأوجه التي تبطل بها هذه القصة: قول إبليس فيما ورد في الرواية "أنا صاحبكم الذي أخرجكما من الجنة" لا يقوله من يريد الإغواء الذي يريد الإغواء يقول قولا فيه استدراج مثل ما فعل حينما أراد منهما أن يأكلا من الشجرة ماذا قال لهما؟ ألا أدلكم على شجرة الخلد وملكا لا يبلى فأغراهما إغراء أما هكذا فانه لا يقوله من يريد الإغواء، فهذا يدل على بطلانها ثم كذلك أيضا أنه حينما قال لهما لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن تصديقه في هذا شرك في الربوبية لأنه لا يملك الخلق هل يملك أن يجعل لهذا الجنين قرني أيل حاشا آدم وحواء أن يصدقاه في هذه الأكذوبة،

٦) وأيضا من الأدلة على بطلانها أن الله – سبحانه وتعالى – ختم الآية بضمير الجمع فقال:{فتعالى الله عما يشركون} ولم يقل يشركان بالتثنية وإنما قال عما يشركون بدليل أن هذا يقع من أزواج متعددين يكفرون نعمة الله – عز وجل – ولا يثنون بالنعمة على مسديها فبهذا تسقط هذه الرواية ولا يعتد بها وعلى كل حال فما من كتاب مصنف معصوم وإلا ليت أن الشيخ – رحمه الله – لم يذكر هذه الرواية في كتابه

◈ **قال: "وله بسند صحيح عن قتادة":**

"له": أي لابن أبى حاتم بسند صحيح عن قتادة

قال: "شركاء في طاعته لم يكن في عبادته شركاء في طاعته" يعنى إن الشرك الذي وقع شرك طاعة ولم يكن شرك عباده بمعنى أنه توجه إليه بالسجود والركوع وما أشبه،

"وله" أيضا ابن أبى حاتم

بسند صحيح عن مجاهد في قوله (لان آتيتنا صالحا) قالا أشفقا ألا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهم: وقد ذكرنا التحقيق في هذه المسألة

وعلى كل حال فان المقصود بهذا هو أن يثني بالخير على الله – سبحانه وتعالى – وأن من منَّ الله تعالى عليه من الأزواج بالذرية الصالحة فان المتعين عليه أن يشكر نعمة المنعم ويثني بها عليه ولا ينسبها إلى أحد سواه فان وقع منه غير ذلك فهذا شرك في الطاعة أو نقص في التوحيد

◈ **نستفيد من هذه الآية:–**

- أولا: وما احتث بها أيضا من يعني أقوال أهل العلم تحريم التسمية بكل اسم معبد لغير الله كل اسم معبد لغير لا يجوز بناء طبعا على أن الآية دلت خاصة على هذا المعنى أن يسمى عبد الحارس ولكننا نقول إن هذا من صور الإشراك أن يسمى المولود باسم معبد لغير الله وهذا في الحقيقة كثر ما مثاله مثل ما يسمى الروافض عبد الحسين وعبد الرضا وعبد على بل رأيت أعجب من ذلك يعني غير عبد على بعضهم يسمي كلب على هكذا يقولون كلب على كاسم الجلبي الذي تسمعونه كثيرا يقول فلان الجلبي أصله منحوت من كلمة كلب ، وهذا كله والعياذ بالله غلوا مذموم أي سفاهة العقول فالتعبيد يجب أن يكون لله ومنه فعل النصارى حينما يقولون عبد المسيح، ويرى شيخنا - رحمه الله - أنه لا يجوز حتى التسمي بعبد المطلب وأن قول النبي ﷺ أنا ابن عبد المطلب هذا خرج منه مخرج الإخبار لا مخرج الإقرار وأن القاعدة مضطردة لا يعبد أحد لغير الله - عز وجل - فكل من قال عبد فيجب أن يكون المضاف إليه اسم من أسماء الله الحسنى

- ونستفيد أيضا أن تعبيد الأسماء لغير الله نوع من أنواع الشرك

- ونستفيد أيضا وجوب شكر نعمة الله على البنين على الأولاد من بنين وبنات؛ وقد امتن الله تعالى على كثير من عباده فقال: (بنين وحفدة أمدكم بأنعام وبنين) كل ذلك من نعم الله - عز وجل -

- كذلك أيضا أن من الشكر أن يسمى الولد باسم يعبد فيه لله ولهذا قال النبي ﷺ أحب الأسماء إلى الله ماذا؟ عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام فكونها أحب إلى الله لأنها فيها التصديق بعبوديته والحمد لله للإنسان في هذا مسرح فلو رزقك الله تسع وتسعين ابننا لوسعك أن تعبدهم لله - عز وجل - فسمى بأسماء الله الحسنى عبد كذا عبد كذا ، حتى إن من العلماء من سمي ابنه عبد المصور وقال لعلي لم أسبق إلى هذا فينبغي أن يحب الإنسان هذه الأسماء المعبدة لله الدالة على الإخلاص له وألا يعني يزهد فيها وينزع إلى الأسماء الأخرى على أن الأمر فيه سعة، ولهذا قال النبي ﷺ وأصدقها حارث وهمام صحيح لو تأملت لوجدت كل إنسان يدب على وجه الأرض حارث وهمام لأن الحرث يدل على الفعل، والهم يدل على الإرادة والإنسان هو مجموع إرادة وفعل

فأصدق الأسماء حارث وهمام لأنه ما من إنسان إلا ويهم عنده هم سواء كان همه قويا أو ضعيفا وما من إنسان إلا وهو حارث ليس مقصود فقط حراسة الأرض الحرث يعني الفعل سواء كان حرثه قويا أو ضعيفا فهو حارث أو همام، طيب وأقبحها حرب ومره أي والله زوق النبي ﷺ زوق رفيع فلهذا يكره هذه الأسماء أن يسمي إنسان ابنه باسم حرب سبحان الله ما الواجب لهذا لماذا تسميه حرب يعني من البداية تريد أن تصنع مشكلة وكذلك مره لماذا يسمي الإنسان ابنه مره المرارة مذمومة فهذا في الحقيقة فاسد أن يسمي إنسان ابنه بهذه الأسماء، والحقيقة أن من تأمل في أسماء الناس الآن وجد أسماء كثيرة تلتحق بحرب وأسماء كثيرة تلتحق بمرة فينبغي أن يكون مزاج المؤمن مزاجا إيمانيا قاربا لمزاج النبي ﷺ فيكون هواه تبعا لما جاء به.

◈ **المسائل**

[قراءة المتن]

- الأولى: تحريم كل اسم معبد لغير الله

[الشرح]: وقد نقل ابن حزم الإجماع أو الاتفاق على ذلك

[قراءة المتن]

- الثانية: تفسير الآية

[الشرح]: تفسير الآية هو على ما فررنا، أما الحديث عن ابن عباس فانه في الحقيقة لا يصلح أن يكون تفسيرا لها لما ذكرنا لكم من ضعف السند ونكارة المتن

[قراءة المتن]

- الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم يقصد حقيقتها

[الشرح]: نعم يعني أنه وقع شركا مع أنه لم يقصد ذلك وإنما قصد اتقاء الشر على فرض صحة هذه القصة فمن سمياه عبد الحارث لم يقصد أن يعبداه لإبليس لكن أرادا أن يتقيا شره فقد يقع من بعض الناس وقوع في الشرك ويقول أنا ما أردت أنا ما قصدت أنا كذا، كذا يقال وان عليك أن تتقي الشرك ظاهرة وباطنه

[قراءة المتن]

- الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم

[الشرح]: نعم وذلك لعموم قوله: (فلما آتاهما صالحا) فلو أن إنسان رزق بنتا سويه فتمعر وجهه واسود وتبرم لكان هذا من كفران النعم ومن مشابهة أهل الجاهلية وهذا يقع -والعياذ بالله- من بعض الجفاة حتى في هذه الأزمان ويقع من كثير من أمم الكفر أن يقتلوا بناتهم ويئدهن إلى يومنا هذا

[قراءة المتن]

- الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة

[الشرح]: يعني هذه الجملة استفادها الشيخ - رحمه الله - من قول قتادة "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته" والحقيقة أن الطاعة إذا كانت منسوبة لله فلا فرق بينها وبين العبادة لأن طاعة الله نوع من عبادة، أما الطاعة المنسوبة لغير الله فإنها غير العبادة فنطيع الرسول ولا نعبده نحن نطيع الرسول ﷺ لكن طاعتنا إياه ليست عباده نطيع آبائنا وأمهاتنا ومن له ولاية علينا كولاة الأمر وطاعتهم ليست عبادة ففرق بين الطاعة والعبادة لا شك، لكن إن كانت الطاعة المراد بها طاعة الله - عز وجل - فلا شك أنها عبادة نوع من أنواع العبادة....

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -